مجلة جامعة الزيتونة الدولية للنشر العلمي
Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
Issue N.27 –Vol.2 / ISSN :2958-8537

العدد السابع والعشرون (27) –المجلد الثاني
تاريخ 30 – 10 – 2024
(ص113 لـ ص 130)

الممارسات والأنماط السلوكية تجاه النفايات المنزلية
حالة حي "سيدي البرنوصي" بمدينة الدار البيضاء

Practices and Behavioral Patterns towards Household Waste: the Case of "Sidi Bernoussi" Neighborhood in Casablanca

د. زهرة الذهابي
باحثة في علم الاجتماع البيئة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل –القنيطرة –المغرب
zahraa.douhabi@gmail.com

الملخص:

تعد إشـــكالية النفايات المنزلية أحد أبرز التحديات التي تواجه مدينة الدار البيضـــاء، خاصـــة مع تزايد النمو الديمغرافي، ونســـبة التحضـــر، وأنماط الإنتاج، والاســـتهلاك، إن قطاع النفايات بهذه المدينة تشـــوبه العديد من المشـــاكل، والتحديات التي تتدخل فيها أطراف عدة، ولعل أهم طرف يســـاهم بشـــكل كبير في هذه الإشـــكالية الاجتماعية، البيئية هو العنصر البشري، من خلال سلوكه، ونمط استهلاكه، وتمثله للنفايات. وهذا ما تطرق إليه بحثنا بمجال الدراســـة حي "ســـيدي البرنوصـــي" بمدينة الدار البيضـــاء، إذ توصـــلنا من خلاله أن الممارســـات، والسلوكيات الاجتماعية، تزيد من حدة المشكلة البيئية الخاصة بتراكم النفايات المنزلية.

الكلمات المفتاحية: الدار البيضاء، النفايات المنزلية، السلوكيات، الممارسات، تدبير النفايات.

Abstract:

The problem of household waste is one of the most prominent challenges facing the city of Casablanca, especially with the increasing demographic growth, urbanization rate, production patterns, and consumption. The waste sector in this city is plagued by many problems and challenges in which several parties intervene, and perhaps the most important party that contributes significantly to this social and

environmental problem is the human element, through its behavior, consumption patterns, and representation of waste. This is what our research addressed in the field of study of the "Sidi Bernoussi" neighborhood in the city of Casablanca, where we concluded that social practices and behaviors increase the severity of the environmental problem of the accumulation of household waste.

Keywords: Casablanca, household waste, behaviors, practices, waste management

المقدمة:

في السنوات الأخيرة، أصبحت النفايات قضية واشكالية عالمية تمس جميع الدول سواء الغنية منها، أو الفقيرة، والواضح أن الزيادة في كمية انتاج النفايات المنزلية خلال السنوات الماضية عرفت قفزة نوعية، وكمية، تخطت توقعات المتتبعين، والمسؤولين عن الشأن البيئي بالمدن الحضرية الكبيرة، ففي فترة وجيزة أصبحت العديد من المدن عاجزة عن تدبير نفاياتها الحضرية، التي احتلت بقوة شوارعها، وفضاءاتها العامة، وأسواقها، وأزقتها، وأصبحت تهدد الصحة العامة، وجمالية المدينة، ناهيك عن الميزانية الضخمة التي تصرف في تدبيرها، ونقلها إلى المحارق، والمطارح، وابعادها عن الساكنة. ورغم ذلك لازال شبح النفايات يطارد المدن، ويسبب لها مخاطر لا تعد، ولا تحصى.

ولا يمكن الحديث عن هذه الإشكالية البيئية دون التطرق إلى مسبباتها المرتبطة بالنمو السكاني، وزيادة الأنشطة الصناعية، التي خلقت أنماط لاعقلانية من الإنتاج، والاستهلاك. وأصبحت تقاس تنمية الأمم والبلدان بما تنتجه من مواد، وما تصنعه من آلات، وتقنيات، وأسلحة، ومبيدات، أصبحت تهدد البيئة والانسان معا. إن التوجه الصناعي الخطي المبني على الربح السريع، أصبح النموذج المثالي المهيمن، لهذا نجد أن معظم الدول تحذو نحو المزيد من الإنتاج، والرفاهية، والاستهلاك، على حساب مقومات الطبيعة، دون اعتبار لما ستلحقه من آذى لشروط الاستدامة.

استمر التعامل مع إشكالية النفايات لفترة طويلة بمنطق التحليل التقني، والجغرافي، والإداري، ولم تأخذ هذه الظاهرة حقها في التحليل السوسيولوجي، والانثروبولوجي حتى أواخر الستينيات من القرن الماضي بعدما شكلت القضية البيئية محورا للمناقشات في العديد من الملتقيات، والمؤتمرات الدولية. ورغم أن هذا الاهتمام جاء متأخرا بالمقارنة مع باقي التخصصات الأخرى، إلا أنه انصب في معالجة وفهم ودراسة مجموعة موضوعات بيئية، منها التغيرات المناخية، وتلوث البحار، وانقراض الأنواع الحية، وتلوث الهواء وغيرها من الموضوعات المرتبطة بالتدهور البيئي، منها النفايات المنزلية التي مثلت قضية وموضوعا للبحث والدراسة في العلوم الإنسانية، ويُعد إرث " Mary Douglas" في كتابها الرائد "الطهارة والخطر"، "purity and danger"[1] المنشور سنة 1966، مصدرا ومرجعا

1. Mary Douglas "purity and danger, an analysis of concept of pollution and taboo" London and New york. first publiched 1966.

هاما لتفسير ظاهرة النفايات وما يرتبط بها من مفاهيم اجتماعية، وتعتبر "ماري دوغلاس" أن النفايات هي مرآة الثقافة الإنسانية. كما تناول الباحث الاقتصادي والسوسيولوجي، "جيرارد بيرتوليني" "Gérard Bertolini" في عمله الرائد "سوق القمامة" "Le marché des ordures"[2] موضوع النفايات وتحليل قيمتها الاقتصادية، والاجتماعية وجذب هذا الموضوع أيضا الباحث الجغرافي "جون كوبير" "Jean Gouhier" في دراسته، "Géographie des déchets" "جغرافية النفايات" المنشور سنة 1984، والذي اعتمد فيها بشكل كبير على مفاهيم العلوم الإنسانية، والاجتماعية، والنظر في الأبعاد التي تربط مفاهيم النفايات بالهامش.

وبما أن الظاهرة أعلاه تمس بالأساس المدن الحضرية الكبيرة بفعل زيادة التحضر الكثيف، ثم اعتبارا انها إشكالية اجتماعية، انثروبولوجية، ارتأينا أن تكون مدينة الدار البيضاء بالمغرب مختبرا سوسيولوجيا لهذه الإشكالية، وخاصة أن هذه المدينة تصنف من ضمن الحواضر العالمية، التي تعرف كثافة سكانية كبيرة، ثم من ضمن المدن التي تعاني تراكم النفايات، خاصة بأحيائها، وهوامشها الفقيرة، وتنتج ما يزيد عن 4000 طن بمعدل 0.95 كلغ للفرد، وتذهب هذه الكمية للمطارح، وتصرف بطريقة عشوائية، دون الاستفادة من إعادة تدويرها.

سنحاول في هذه الدراسة الميدانية التركيز على تحليل الظاهرة انطلاقا من المؤشرات السوسيولوجية، وليس التقنية، افتراضا منا أن المشكلة التي نحن بصدد تناولها، وتفسيرها، وفهما، مشكلة اجتماعية بشرية المنشأ، تعود بالأساس إلى السلوكيات، والممارسات، والتمثلات. لهذا سنركز بالذات على الجانب الاجتماعي المتمثل في عينة من الساكنة المحلية، وطريقة تدبيرها لنفايتها المنزلية، وكي تكون دراستنا تمثيلية سنشتغل على إحدى أحياء مدينة الدار البيضاء، وهو حي "سيدي البرنوصي" الذي يعد من الأحياء الحضرية التي تعاني ظاهرة تراكم القمامة المنزلية، وسوء تدبيرها.

منهجية العمل:

لتحقيق اهداف الدراسة المتمثلة في فهم وتحليل سلوك الساكنة تجاه نفاياتها المنزلية، قمنا بوضع دليل استمارة يشمل مجموعة أسئلة، كأساس لدراسة كمية، وتم اجراء الاستمارة وجها لوجه مع الفئة المبحوثة المكونة من عينة 180 مفردة عشوائية من حي "سيدي البرنوصي" مجال الدراسة، وهي عينة تمت بشكل أكبر مع فئة "ربات البيوت"، باعتبارهن أكثر تعاملا مع النفايات المنزلية، كما حاولنا في هذا البحث الحفاظ على السرية، والتزام الحيادية، والموضوعية.

أهداف الدراسة:

هدفنا من خلال هذه الدراسة الوقوف على أبرز أسباب، وعوامل تراكم النفايات بمجتمع الدراسة، وأيضا إلقاء الضوء على سلوك، وممارسة الساكنة، والاسر المبحوثة تجاه نفاياتها المنزلية، وطرق التخلص منها، وأيضا معرفة

2. Gérard Bertolini "Le marché des ordures : Economie et gestion des déchets ménagers" L'Harmattan France 1990.

تأثيرات، وتهديدات الظاهرة من أمراض، وازعاج، وقلق. كما هدفنا أيضا إلى القاء الضوء على الجوانب السوسيولوجية للظاهرة من خلال تمثل النفايات لدى أفراد المجتمع.

مجال الدراسة:

تم إجراء هذه الدراسة الميدانية بمجال حي "سيدي البرنوصي" وهو أحد أحياء مدينة الدار البيضاء الكبرى بالمغرب، وامتدت هذه الدراسة لمدة ستة أشهر ابتداء من شهر أبريل 2024، إلى متم شهر شتنبر من نفس السنة، وتم اختيار مجال الدراسة لعدة اعتبارات، منها الكثافة السكانية المرتفعة، التي وصلت حسب الإحصاء العام الأخير لسنة 2014 إلى ما يقارب 627 968نسمة، ومساحة إجمالية تقدر ب 38.59 كلم^2، كما يضم هذا الحي مجموعة أحياء صغيرة، منها (الحي الصناعي، حي القدس، حي الأمل، حي طارق، حي المنصور، حي مباركة ...).

نتائج وتحليل المعطيات الإحصائية:

خصائص العينة المبحوثة:

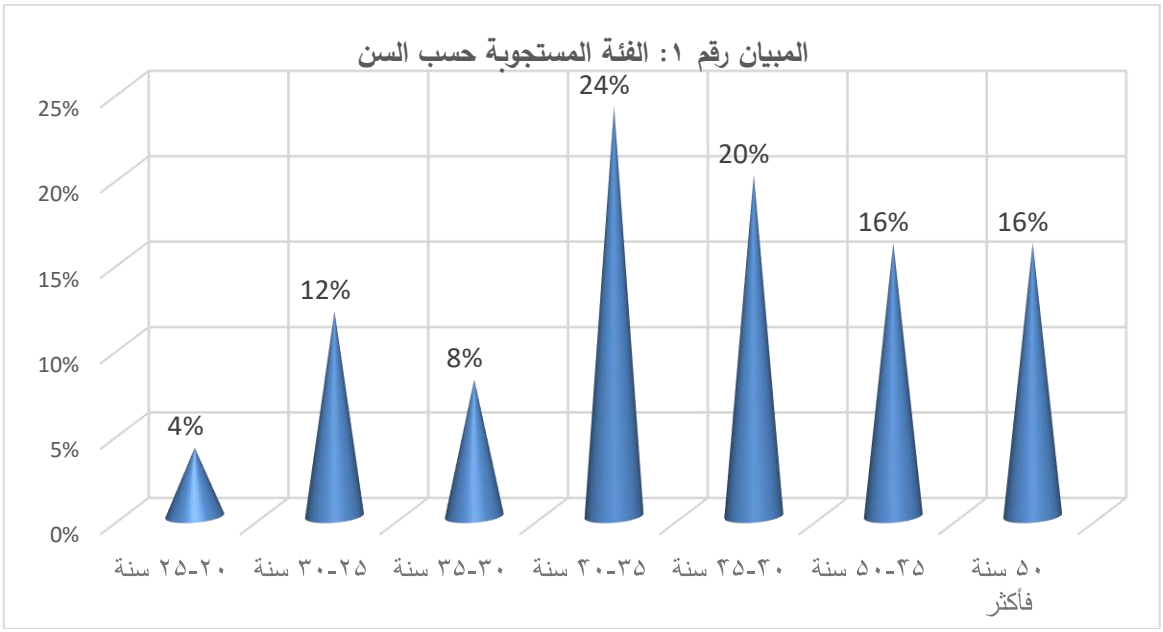

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

أولاً: عوامل تزايد النفايات المنزلية بمجتمع البحث:

تتعدد هذه العوامل بين بشرية، وأخرى طبيعية، في تزايد وارتفاع نسبة النفايات المنزلية، وتعتبر العوامل البشرية، الأكثر تأثيرا، لأنها مرتبطة بالأنشطة البشرية، وما العوامل الطبيعية إلى تابع، ومكمل لها، ومن بين هذه العوامل هناك زيادة النمو الديمغرافي، ومستوى الدخل، وسلوكيات، وممارسات الساكنة.

1-النمو الديمغرافي:

غالبا ما ننسى "العلاقة التي تجمع بين النمو الديمغرافي، والتغيرات الايكولوجية، هذه العلاقة التي تتوسطها أنماط الإنتاج، والاستهلاك الكثيفة. كما ان الآثار البيئية تختلف أيضا حسب درجة التركز الحضري، فكلما زاد هذا

الأخير، زادت معه نسبة التدهور البيئي، إن زيادة إنتاج النفايات لها علاقة بالتركز الكثيف للسكان، ونمط عيشهم الاستهلاكي".[3]

في السنوات الأخيرة عرفت الظاهرة الديمغرافية، تصاعدا متسارعا، فحسب إحصائيات الأمم المتحدة "انتقل عدد السكان الذي كان لا يتجاوز مليارين نسمة سنة 1930، إلى أربع مليارات سنة 1970، واليوم يفوق هذا العدد 7.5 مليار نسمة، وحتى مع انخفاض معدل النمو الذي وصل 1.10% ، يتم إضافة 83 مليون فرد كل سنة، و لم يستغرق الأمر سوى 12 سنة لإضافة مليار آخر لهذه المعمورة، ومن المتوقع أن تصل نسبة السكان إلى 8.6 مليار نسمة، بحلول سنة 2030، كما من المتوقع أن نقترب من 10 مليار نسمة بحلول سنة 2050"[4]، وقد رافقت هذه القفزة الديمغرافية العالمية، مجموعة أنشطة استنزافية، لتوفير حاجيات السكان المتزايدة، كما رافقتها أيضا أنشطة موزعة بين العمرانية، والاقتصادية، والاستهلاكية، وهذا ما ساهم بشكل كبير في تضاعف كميات التخلص من المنتجات المستهلكة.

وفي المغرب يعيش أكثر من 18 مليون، من أصل 30 مليون نسمة في المناطق الحضرية، حيث يصل النمو الديمغرافي إلى 2,58%، وبلغ عدد الساكنة بحي الدراسة "سيدي البرنوصي" ما مجموعه 173189 نسمة حسب الإحصاء العام لسنة (2014)، وهذا الرقم تزايد بالمقارنة مع ما كان عليه حجم الساكنة خلال إحصاء 2004، والذي قدر حينها ب 164875 ألف نسمة.

وتظهر مؤشرات النمو الديمغرافي بمجال الدراسة من خلال المعطيات التي توصلنا إليها، إذ تبين لنا نتائج البحث أن نسبة 68% من المبحوثين يتجاوز عددهم 6 أفراد لكل أسرة، في مقابل 32% موزعة بين 3 و6 أفراد، وقد ركزنا على قياس نسبة عدد الافراد داخل الاسر المبحوثة لأن هذا المؤشر له علاقة بإشكالية النفايات المنزلية، إذ كلما زاد عدد الافراد تزايدت معه العادات الاستهلاكية. والبيان أسفله يوضح هذه النسبة الخاصة بالفئة المبحوثة.

[3] Jacques Véron " Démographie et Ecologie" la découverte ,2013 ; p 128.

[4] Michel Bourban "Croissance démographique et changement climatique : repenser nos politiques dans le cadre des limites planétaires" La Pensée écologique. 3(1) :19-37, 2019.

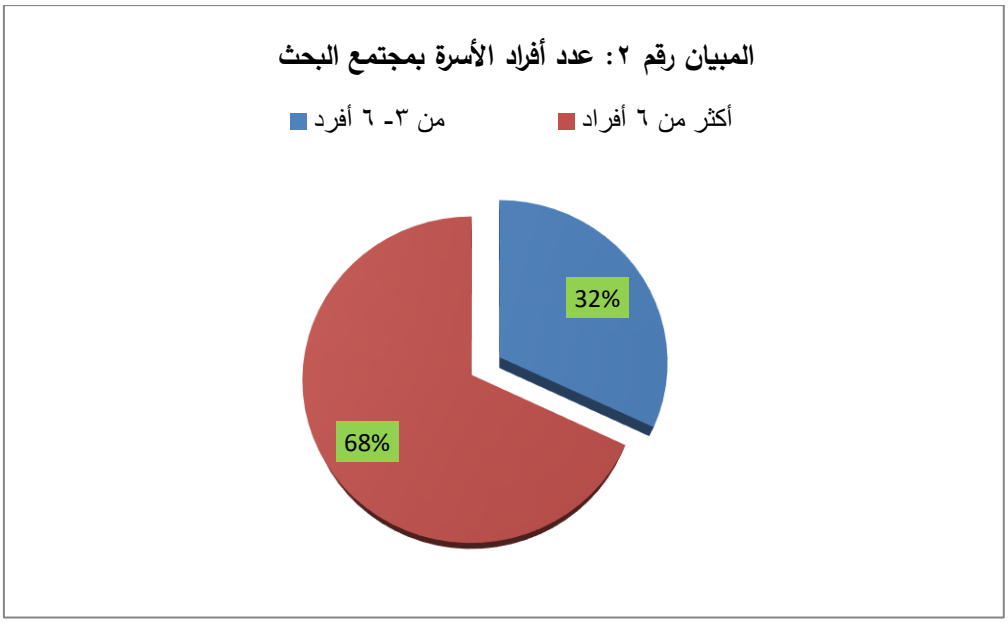

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

2-مستوى الدخل:

يعد الدخل الفردي من المؤشرات الاقتصادية الهامة المساهمة في انتاج النفايات، وتختلف الكمية المنتجة من حي لآخر، فغالبا ما تنتج الأحياء الراقية والمتوسطة ذات الدخل المرتفع أكبر كمية من البقايا والمخلفات الاستهلاكية، نظرا لمستوى عيشها المرتفع، وهذا ما أشارت إليه المندوبية السامية للتخطيط في احدى بحوثها الموسوم ب "استهلاك ونفقات الأسر المغربية"، والذي امتد من 2013 إلى 2014، وتوصل هذا البحث إلى تسجيل نسب نمو مرتفعة للدخل تجاوزت 5%، الأمر الذي زاد في مستوى القدرة الشرائية للأفراد إذ بلغ في المتوسط 3،4%، ما بين الفترة 2001-2014.

3-ممارسات وسلوكيات، وطرق تدبير الفئة المبحوثة للنفايات المنزلية:

تعد العوامل البشرية المرتبطة بالممارسات، والسلوكيات، والتمثلات أهم العناصر التي تساهم في تدبير النفايات المنزلية بشكل معقل، أو التأثير عليها بشكل سلبي من خلال الزيادة في انتاجها، والمساهمة في تراكمها والتخلص منها بطرق عشوائية في الازقة، والشوارع العامة، والمدينة بشكل عام، لهذا يعد سلوك الساكنة تجاه النفايات مسألة مهمة لفهم الظاهرة والبحث عن حلول لها، من خلال تغيير السلوك او تدعيمه وتثبيته.

وفي هذه الدراسة الميدانية اعطينا الوقت الكافي لملاحظة، ومعرفة هذه السلوكيات، خاصة المرتبطة بمعرفة وسائل حفظ، وجمع النفايات المنزلية داخل مجتمع البحث، ثم معرفة، ومراقبة أكثر الأشخاص تكليفا بإخراج النفايات إلى نقط التجميع، التي تكون بالأحياء (الفقيرة/ الشعبية)، وأيضا معرفة أكثر الأوقات التي يتم فيها اخراج النفايات من طرف الساكنة، ومدى ملائمة هذه الأوقات مع خدمة الجمع الخاصة التي تقودها شركات النظافة.

أ-وسائل حفظ النفايات بمجتمع البحث:

على مر التاريخ كان يتم إخفاء النفايات، وابعادها، وإزالتها، عن أعين المارة، وغالبا ما يتم احكام إقفالها داخل أكياس وصناديق كبيرة، ويتم نقلها بعيدا عن المدينة، وهذا الإبعاد عبر عنه الاقتصادي الشهير" Gérard Bertolini" إذ قال إن "كل ما يتعلق بالنفايات يرتبط بعالم الليل، أي أن التخلص منها يتم ليلا أو مع بداية الفجر".[5] وهذا النفي الذي نمارسه تجاه نفاياتنا، يظهر بشكل واضح في سلوك الساكنة، إذ نجد أن معظم الوسائل المعتمدة تقوم على الإخفاء، والابعاد دون إعطاء أهمية وقيمة للمواد المتخلص منها.

وحسب نتائج الدراسة فإن الوسيلة الأكثر استعمالا لحفظ النفايات قبل التخلص منها نهائيا، هي " الوعاء المفتوح" إذ عبرت نسبة 54% من مجموع العينة المبحوثة أنها تستعمل هذه الوسيلة، وهي الأكثر استعمالا وانتشارا بالأحياء الشعبية، وحسب بعض المبحوثات فإن هذه الوسيلة غير مكلفة ماديا إذ يتم اقتناؤها مرة واحدة لتظل في المطبخ مدة طويلة، وللإشارة يتم وضع النفايات مباشرة في الوعاء المفتوح دون استعمال أكياس بلاستيكية حافظة للقمامة.

المبيان رقم ٣: الوسائل المستعلمة للتخلص من النفايات المنزلية

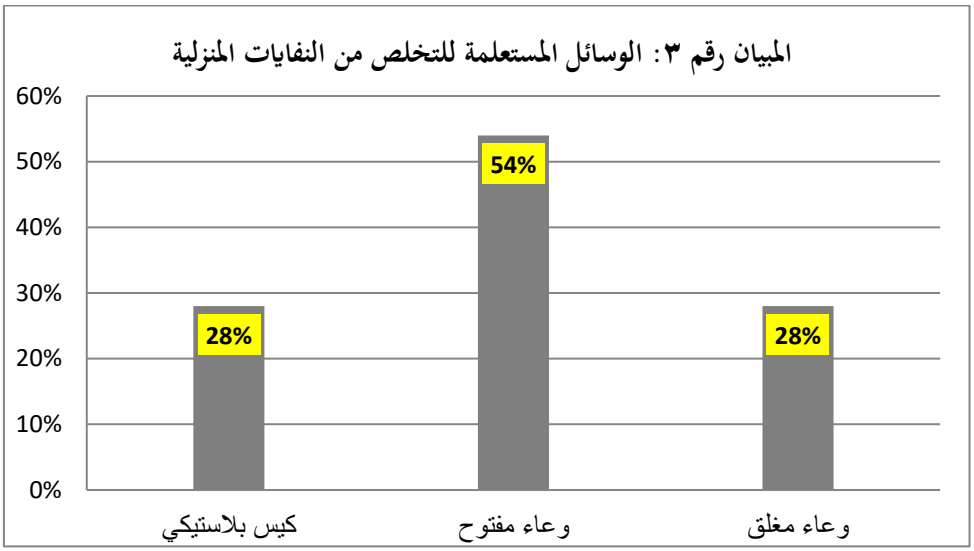

المصدر: البحث الميداني، 2024

وتأتي الوسيلة الثانية ضمن الوسائل المستعملة في مجتمع البحث، والمتمثلة في الوعاء المغلق، واستعمال الاكياس البلاستيكية بالتساوي من طرف المبحوثين إذ مثلت 28% لكل منهما، ويتم استخدام هاتين الوسيلتين حسب المبحوثين، لحماية القمامة من التبعثر، ونهشها من طرف حيوانات الشارع، (القطط والكلاب)، ثم للوسيلتين إيجابيات للحفاظ على بيئة الحي من انتشار الروائح، والذباب، والحشرات التي ترافق النفايات المكشوفة. كما تمنع الوسيلتين الأخيرتين من تسرب العصارة السامة بالقرب من المنازل، وأماكن نقط التجميع، وذلك للحفاظ على صحة الساكنة من الأمراض المنتقلة.

[5] Gérard Bertolini " le déchet c'est les autres", Toulouse : édition Eres 2006.

ب- الشخص المسؤول عن إخراج القمامة المنزلية:

الصورة رقم 1: توضح تكليف الأطفال بإخراج القمامة المنزلية بحي "سيدي البرنوصي"

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

يعد اخراج القمامة المنزلية من طرف الاسر، إلى مكان تجميعها، مسألة لا تقل أهمية عن وسيلة حفظ القمامة، لذا فمن المفروض أن تتم هذه العملية بواسطة شخص مسؤول تجاه الحفاظ على نظافة الحي، ليتم وضع النفايات بطريقة صحيحة في مكانها، لكن الملاحظة الميدانية بينت أن أغلبية الأسر تكلف أطفالها بنقل القمامة خارج البيت، مما يجعل الأطفال يتخلصون من القمامة بطرق عشوائية، كأن يقوم الطفل مثلا بوضعها جانب الحاوية، خاصة إذا كان طوله لا يسمح بالوصول إلى مكبها، أو أن يقوم بإفراغها في الشارع، أو أي مكان آخر للتخلص منها بأسهل الطرق.

إن هامشية المسألة البيئية، والنفايات على وجه التحديد لا تقف عند حدود الاسر ومجال البحث، بل تتعداه لتصبح معضلة مجتمعية الكل يساهم فيها، وبالخصوص المؤسسات الاجتماعية، التي تُغيب وتهمش القضية البيئية في سياساتها، ومدارسها، وإعلامها.. فالفرد أو الطفل الذي لا يعي مساوئ أفعاله وسلوكياته، اتجاه التخلص من النفايات يزيد من تعقيد عملية الجمع لعمال النظافة، مما يتطلب منهم جهدا ووقتا مضاعفا لجمعها.

ج- أماكن التخلص من النفايات بمجتمع البحث:

المبيان رقم ٤: أماكن التخلص من النفايات المنزلية بمجتمع البحث

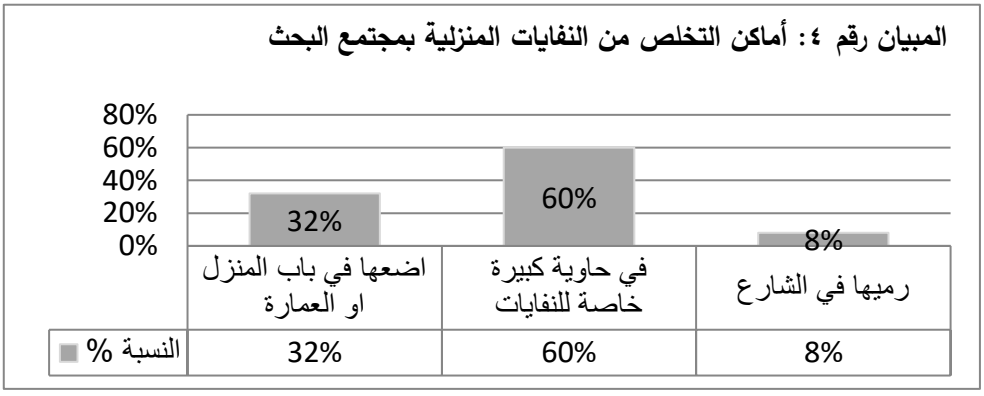

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

يتضح من البيان أعلاه أن نسبة 60% من المبحوثين يضعون نفاياتهم المنزلية في الحاوية الكبيرة الخاصة بالنفايات، وهذا يفسر تواجد الحاويات بالنقط التجميعية، ورغم تواجدها تظل في حالة سيئة، وغير مقبولة لدى الساكنة، إذ معظم المبحوثين عبروا على أن الحاويات الخاصة بالنقط التجميعية والمتواجدة بالأخص في الشوارع والازقة غالبيتها متسخة، ومكسورة، وبدون غطاء يقي الساكنة من رائحة عصارتها السامة، كما لاحظنا أيضا وجود عصارة، ونفايات مبعثرة بالقرب من هذه الصناديق، أو الحاويات الكبيرة، وهذا يؤكد دعوى المبحثوين بهذا الخصوص.

وعبرت نسبة 32% من العينة المبحوثة أنها تضع نفاياتها أمام منازل سكنها، في انتظار رفعها من طرف شركات النظافة التي تمر بدروب وأزقة الاحياء، وهذه الطريقة تخلق العشوائية، وتساهم في تردي الوضع البيئي بالأحياء، وتأثر بشكل كبير على جمالية الحي، فلا يمكن أن تمر صباحا باكرا على حي من أحياء مدينة الدار البيضاء، وخاصة الاحياء (الشعبية) دون أن ترى النفايات متراكمة في كل مكان، وهذا لأن معظم الاسر يضعونها بالقرب من منازلهم، وأزقتهم بطرق عشوائية معتمدين أكياس بلاستيكية هشة يسهل نهشها، وتفريغها من حيوانات الشارع، (القطط، الكلاب)، والصورة أسفله توضح هذه الطريقة العشوائية.

الصورة رقم 2: توضح طريقة التخلص الاسر من نفاياتهم المنزلية امام منازلهم

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

والملاحظ أيضا أن الساكنة لا تحترم وقت محدد لإخراج نفاياتها، ليتماشى مع توقيت خدمة النظافة الخاصة، بل تقوم بالتخلص منها في كل الأوقات صباحاً، ومساءاً، وحسب رغبتها، وهذا النمط السلوكي يعوق عملية الجمع بالنسبة لعمال النظافة.

وقد عبرت نسبة 8% من عينة البحث أنها تتخلص من نفاياتها بوضعها في الشارع، ورغم أنها نسبة ضعيفة، إلى أن المعاينة الميدانية أكدت على وجود هذا النمط من التخلص العشوائي، ببعض المناطق منها مثلا الأماكن القريبة من السوق النموذجي للتجار بحي "سيدي البرنوصي"، إذ يتخلصون الباعة في نهاية النهار من بقاياهم في المناطق

المجاورة للسوق، ورميها بطرق عشوائية دون اقفالها جيدا، وغالبا ما يتم التخلص من بقايا الدواجن، والأسماك، التي تسبب روائح كريهة للمارة، والساكنة.

د–الجهة المكلفة بجمع النفايات المنزلية بمجتمع البحث:

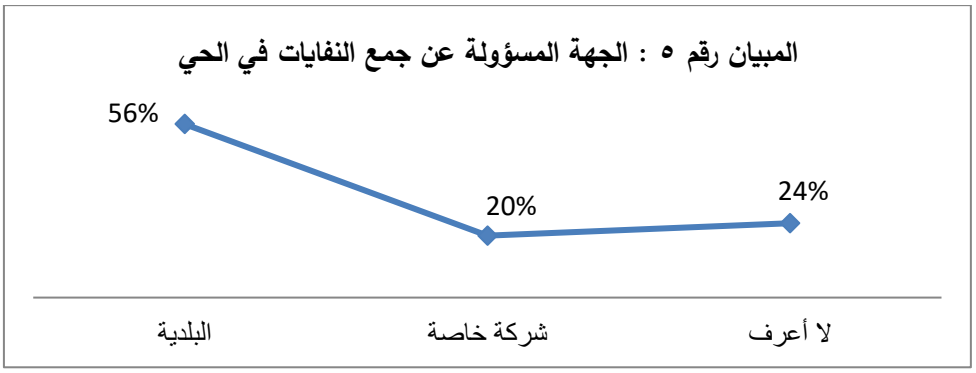

المصدر: معطيات البحث الميداني، 2024

أجابت نسبة 56%، من عينة البحث أن "البلدية" هي الجهة المسؤولة عن جمع النفايات بمجال حيها، وهذه النسبة مؤشر دال على عدم معرفة الساكنة بالجهة المسؤولة عن تدبير نفاياتها، وخاصة أن خدمة التدبير المباشر من طرف "البلدية" كانت قبل سنة 2004، ومنذ ذاك التاريخ إلى سنة 2014 كانت أول تجربة مع التدبير المفوض، من طرف الشركات الخاصة، وكانت أول شركة قامت بهذه الخدمة بحي "سيدي البرنوصي" هي "كازا تكنيك"، واستمر إبرام العقود وفسخها مع الشركات الخاصة إلى يومنا هذا، لكن المستنتج من هذا أن نسبة كبيرة من المبحوثين لا يدركون بعد أن مسألة النفايات تدار بواسطة القطاع الخاص، وليس بواسطة الجماعات المحلية الممثلة في "البلدية".

وللإشارة، فإن نسبة 20% فقط من العينة هي التي أجابت أن الجهة المكلفة بجمع النفايات، تعود للشركات الخاصة، لكن بدون معرفة اسم الشركة وتوقيت اشتغالها، ومدة عقدها، فهذه الأمور يجهلها أغلب المبحوثين، وعبرت نسبة 24% من المبحوثين أنها تجهل الجهة المسؤولة عن جمع النفايات، وهذا الرقم، يؤكد مدى ضعف اهتمام الساكنة بموضوع تدبير النفايات وتتبعه.

هـ–نسبة مداومة الشركات الخاصة على جمع النفايات:

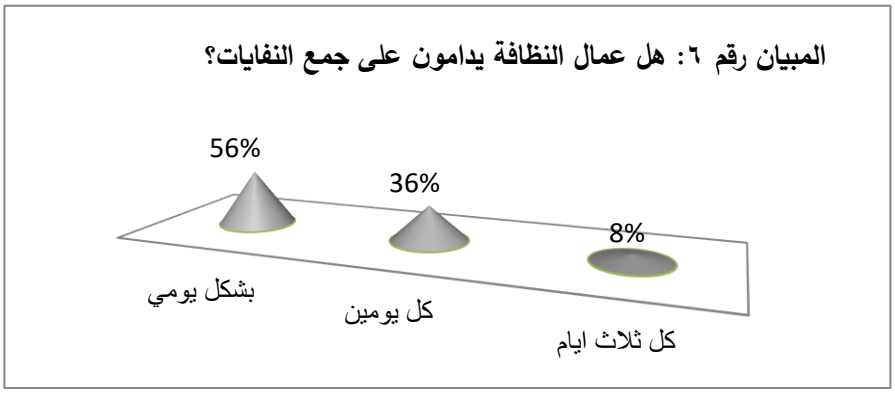

المصدر: البحث الميداني، 2024

أجابت نسبة 56% أن الشركات الخاصة تداوم على رفع النفايات من مجال البحث نحو المطارح بشكل يومي. وهذا النظام معمول به لأن المدينة تعرف كثافة سكانية كبيرة، تجاوزت ثلاث ملايين نسمة، ثم نظرا لغياب مراكز، وتعاونيات الفرز، وإعادة تدوير النفايات بأحياء المدينة، لهذا يظل جمع النفايات بشكل يومي الطريقة الوحيدة للحفاظ على المدينة من تراكم النفايات، وتكدسها، والتخلص منها في المطرح الكبير الذي يوجد خارج المدينة، (مطرح مديونة).

وفي السياق ذاته أجابت نسبة 36% من المبحوثين أنه يتم رفع القمامة من حيهم كل يومين، وقد يعود ذلك إلى بعض المعوقات سواء المرتبطة بالشركة الخاصة المفوض لها قطاع النفايات، كقيام عمالها بخوض اضراب عام، أو أن تكون المسألة مرتبطة بضعف البنية التحتية الموجودة ببعض أحياء المدينة كضيق ازقتها، وضعف تعبيدها، أو وجود أشغال تهيئة الطرق، وبالتالي فهذه الأسباب تعوق شاحنة النظافة من الوصول إلى بعض النقط التجميعية، الامر الذي يجعل النفايات تتراكم بكثرة. في حين نجد نسبة 8% عبرت عن غياب أي مداومة لرفع القمامة، موجهة اتهامها إلى إخلال عمال النظافة بمهامهم تجاه الجمع الفعال.

إن مسؤولية تدبير النفايات، لا تعتمد على خدمة شركات النظافة فقط، بل إن عملية التدبير تعد مسألة بنيوية تهم عدة أطراف، من ساكنة، ومجتمع مدني، وهيئات، وأحزاب سياسية، ومسؤولين وغيرهم، كما تتأثر هذه العملية بعدة عوامل ومؤشرات أخرى مرتبطة بدرجة وعي الساكنة، وكيفية تدبيرها للنفايات، كما ترتبط أيضا بنوعية الحاويات، وصناديق القمامة، وحالتها، وحجمها، وإلى أي درجة تكفي بالمقارنة مع نسبة الكثافة السكانية بالحي، ناهيك عن عدد الشاحنات المخصصة للجمع، وجودتها.

و–فترات تراكم النفايات المنزلية بمجتمع البحث:

المبيان رقم ٧: الفترات التي تتراكم فيها النفايات المنزلية بمجتمع الدراسة

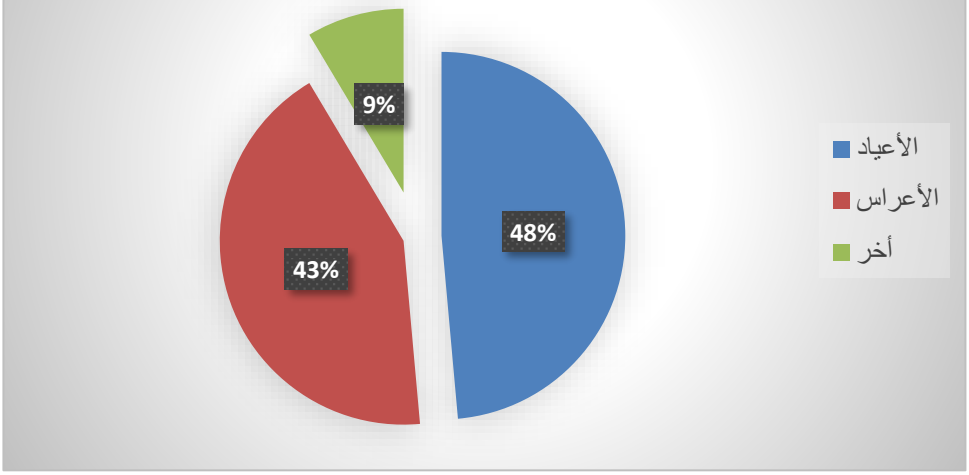

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

غالباً ما تعرف بعض الفترات والمناسبات من السنة تراكما وزيادة ملحوظة في كمية انتاج النفايات، لهذا وضعنا سؤالا بهذا الخصوص في دليل الاستمارة، وجاءت نتائج البحث لتعبر عن نسبة 48% من المبحوثين أجابوا بأن فترة الأعياد الدينية، وخاصة "عيد الأضحى" أكثر الفترات تكدسا للنفايات، والمخلفات، لدرجة أصبحت الأنشطة المواكبة لهذا الطقس الديني مصدر قلق، وازعاج للعديد من السكان، والمسؤولين، لما تخلفه من تلوث، وروائح كريهة، بفعل بعض الممارسات، والأنشطة من قبيل (بيع أعلاف الأضاحي، (الأغنام، الأبقار)، ثم بيع مواد الفحم الحجري، وبعض المنتجات الأخرى الخاصة بالمناسبة..)، بالإضافة إلى شي رؤوس الأغنام، والتخلص من جلودها، وفضلاتها بطرق عشوائية، وفي أماكن عامة.

ورغم مضاعفة عدد عمال النظافة خلال هذه الفترة، إلا أن نفس المظاهر، ونفس المشكلة تتكرر كل سنة، وبهذا يمكن التأكيد على أن المشكلة تتجاوز الحلول التقنية، واللوجستيكية لخدمة الجمع الخاصة، بل تحتاج لوعي انساني، يحافظ على البيئة، ويحميها من مخلفاته، ويعي مخاطر سلوكياته، وما تسببه من أضرار لصحته، ولباقي الكائنات الحية التي تشاركه المحيط الحيوي. وفي نفس السياق الخاص بفترات تراكم النفايات أجابت نسبة 43% من عينة البحث أن فترة الاعراس تتراكم فيها أيضا النفايات، وخاصة أن هذه المناسبات بمجال الدراسة تكون كبيرة، وتقام في أماكن عامة، وسط السكان، لهذا غالبا ما نجد بعد نهايتها بقايا، ومخلفات الطعام، منتشرة ومبعثرة بجانب الحاويات. وهناك نسبة من العينة ممثلة في 9% أجابت بأن تراكم النفايات يكون خلال فترة الصيف، ونهاية الأسبوع، ورمضان، وأيام العطل الربيعية.

ز. الأنماط الاستهلاكية، وطرق تخلص الاسر المبحوثة من الأشياء غير المرغوب فيها:

تعد الانماط الاستهلاكية السريعة التي ظهرت مع المجتمع الصناعي سببا من أسباب مشكلة القمامة، خاصة مع ظهور العديد من المنتجات، والمواد ذات الاستعمال الواحد، والقصير، إذ أصبحت العديد من المنتجات الجديدة، والضارة بالبيئة تغزو الأسواق، والمحلات التجارية الكبرى بكثرة، وأصبح عليها الاقبال من طرف المستهلكين لثمنها المناسب، من قبيل (الأواني البلاستيكية، والاكياس البلاستيكية، وعلب الطعام، ومنتجات التغليف، وألعاب الأطفال، وغيرها)، إن هذه المنتجات السريعة الإنتاج شجعت الاسر بقوة على اقتنائها بغض النظر عن مدة صلاحيتها القصيرة، ونوعيتها، وخطورتها على البيئة، والانسان.

إن هذه الأنماط الاستهلاكية السريعة شجعت بقوة على سلوكيات الهدر، والتخلص السريع، وأصبحت المنتجات، والبقايا تفقد وظيفتها، وقيمتها، التي كانت تدخل في دورة الحياة سابقا. "إن تراجع قيمة البقايا والمخلفات، جعلها معيارا للفوضى، ومصدر للإزعاج، والمخاطر، وجعل الافراد يتخلصون منها بسرعة ويرفضون إعادة استرجاعها".[6] وتعلل الانثروبولوجية "ماري دوغلاس"،"Mary douglas " هذا الأمر بقولها "أن كل ما هو نظيف مناسب،

[6] Mary douglas " de la souillure. Etudes sur la notion de pollution et de Tabou". Paris la Découverte 1992.

ومقبول، ويأخذ مكانته ضمن النظام، والترتيب الاجتماعي للأشياء، وما هو خارج النظام مثل (النفايات) تصنف أنها شيء ضار، وقذر وفوضوي."[7] وهذا التصنيف مبني بشكل كبير على المعايير، والمحددات السوسيو-ثقافية.

المبيان رقم ٨: طرق تعامل المبحوثين مع الأدوات والأثاث المنزلية غير المرغوب فيها

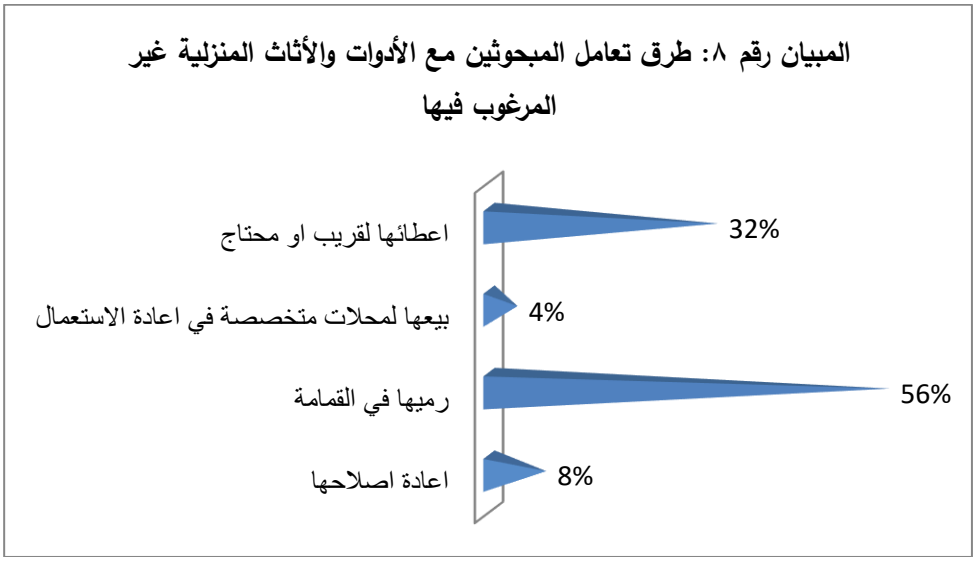

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

تشير النسب أعلاه، أن معدل الرفض والتخلي بمجتمع البحث بلغ 56% وهي نسبة كبيرة تشير إلى ممارسات الرفض، والتخلص من الأشياء التي لم تعد الاسر في حاجة إليها، سواء تعلق الأمر بتجهيزات منزلية، او ملابس، أو أثاث، وغيرها وهذه النسبة تبين ضعف إعادة الاستعمال، والتدوير. وأجابت نسبة 32% أنها تقوم بإعطاء أدواتها المنزلية المستعملة لشخص قريب، او شخص يحتاجها، أو متسول.. وهناك فقط نسبة 4% من الاسر من تقوم بإيداع ملابسها، وأثاثها، وأدواتها المستعملة، والقديمة في المحلات، والدكاكين الخاصة ببيع وشراء الأشياء المستعملة. وتوجد نسبة 8% من عينة البحث من تقوم بإعادة الإصلاح، والاستعمال، وهذا الإصلاح لا يخص جميع الأدوات، والتجهيزات المنزلية، بل يهم فقط بعض التجهيزات الكبيرة، مثل آلة الغسيل، وآلة التبريد، والفرن، أما الأدوات المتوفرة بكثرة في السوق وبأثمنة مناسبة، لا يتم اصلاحها، وإعادة استعمالها، بل يتم تغييرها، والتخلص منها أمام أول عطب لها.

ح. درجة الفرز من المصدر في مجتمع البحث:

كان استرجاع النفايات لدورة الحياة الطبيعية هو القاعدة العامة حتى نهاية القرن التاسع عشر، إذ وجدت جميع المخلفات، والمواد المتخلص منها مكانها في الدوائر، والأنشطة الصناعية.[8] لكن مع تزايد النمط الاستهلاكي أصبح من الصعب التحكم في الكمية المتزايدة للنفايات، وإعادة تدويرها، واسترجعها، وخاصة أن نفايات اليوم أكثر تعقيدا، وسمية، من سابقتها ما قبل عصر التصنيع.

[7] Mary douglas (op.cit., p.76).

[8] Sabine Barles, " L'invention des déchets urbains : France 1790-1970". (Français) Broché 2005.

يوجد في متجمع الدراسة العديد من النفايات، والمواد المتخلص منها ذات مكونات مختلفة، منها البقايا العضوية، ومكونات المواد البلاستيكية، ثم الزجاج، والحديد، والألمنيوم، وبقايا الادوية، والحقن، والمحاليل وغيرها، وغالبا ما يتم نقل هذه المحتويات بشكل مختلط إلى صناديق، وحاويات القمامة، وهذه الطريقة في خلط النفايات المفيدة، مع السامة، تسبب العديد من المخاطر الصحية، منها جروح، وأمراض، للمشتغلين في الجمع، سواء كانوا "عمال النظافة"، أو "جامعي النفايات" الذي يشتغلون في فرزها، وإعادة بيعها.

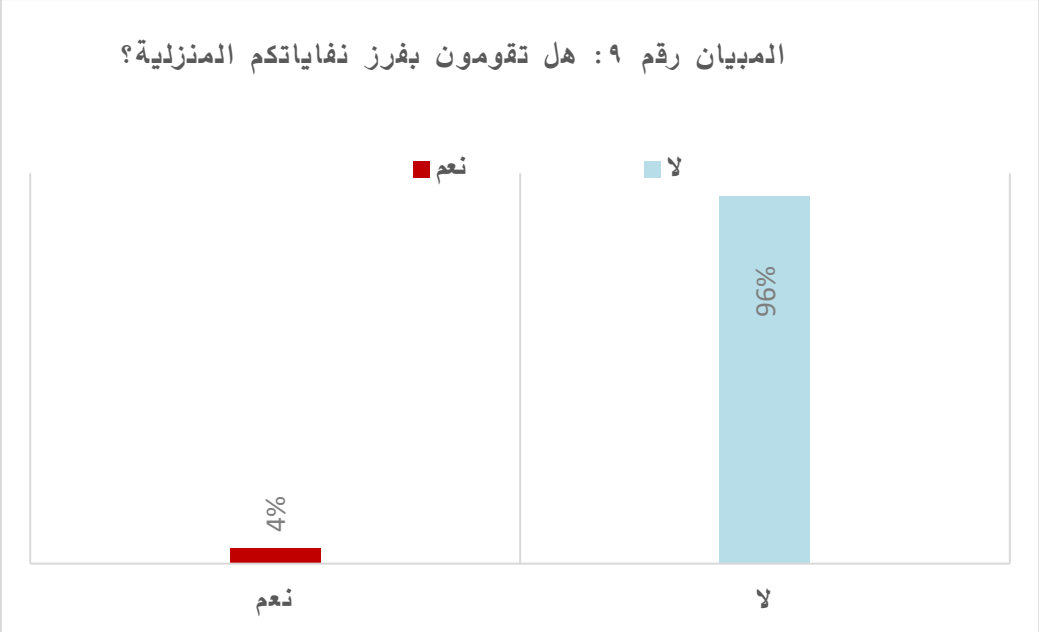

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

وبخصوص اعتماد درجة الفرز من المصدر بمجتمع الدراسة، وجدنا أن نسبة 96% من المبحوثين لا يقومون بفرز نفاياتهم المنزلية، ويكتفون فقط بفرز بعض المواد القليلة ك "الخبز" وبعض بقايا الأطعمة، لاعتبارات دينية تشـــدد على عدم رمي ما يدخل في إطار "نعمة الله"، حسـب المبحوثين، والملاحظ أن هذا التصـور لا يسـري على باقي المواد، والنفايات الأخرى باعتبارها أيضـا "نِعمة الله". ووجدنا فقط نسـبة 4% من تفرز نفاياتها، وهذه النسـبة لا تعبر عن الفرز المستوفي الشروط لجميع المواد، بل تفرز بعض المواد الحادة مثل الحديد، والزجاج كي لا تؤذي "عمال النظافة"، و"النباشين"، ثم بعض المواد البلاستيكية، قصـد بيعها او إعادة استعمالها. إن ضـعف الفرز من المصـدر بمجتمع البحث يعود لغياب الوعي بأهمية، وقيمة المواد المتخلص منها في القمامة، ثم لغياب سياسة التدوير، وعدم توفير التجهيزات الخاصة بتصنيف وفرز النفايات، ثم لقلة المبادرات الخاصة بتشجيع الفرز من طرف المسؤولين على قطاع النفايات، والمجتمع المدني، والهيئات، والأحزاب السياسية، وهذا الضعف في الفرز بل غيابه يشل تدبير قطاع النفايات، ويزيد من حدة الإشـكالية البيئية، نتيجة الزيادة المتسـارعة في كمية، ونوعية النفايات، لهذا فاعتماد نهج التدوير، وإعادة الاسترجاع، يخفف بشكل كبير من الظاهرة، بل يساهم في خلق فرص تنموية سوسيو- اقتصادية، وبيئية لفائدة المجتمع.

ويرتبط ضعف التدوير أيضا بالتمثلات، والأفكار التي يحملها أفراد المجتمع عن صورة النفايات (القذارة، الاوساخ، عدم الفائدة..)، بالإضافة إلى سيادة العادات، والقيم الاستهلاكية المتفاقمة، التي جعلت الأفراد يستغنون عن القيام بإعادة الفرز والتدوير.[9] كما يعود احجام الأفراد عن الفرز إلى اعتبارات مرتبطة بضيق المكان الذي يعيشون فيه، "إذا لم تكن هناك مساحة كافية لوضع صناديق النفايات في المطبخ، فإن عملية الفرز تكون صعبة، ويطبعها غالبا الفشل، بحكم قيود الفضاء المنزلي."[10] ونحن نعلم أن نسبة كبيرة من الساكنة بمجال البحث تعيش في أوساط سكنية ضيقة، لا تسمح لهم المساحة بفرز النفايات.

في السنوات الأخيرة تزايدت تجارب الفرز في العديد من الدول الصناعية، وأثبتت جدواها في التقليل من حجم النفايات، إذ أصبح يتم فرز أكثر من 15 نوعا من النفايات لإعادة التدوير، وإعادة الاستعمال، وانخرط افراد هذه المجتمعات بقوة في عملية الفرز، وأصبحت هذه الممارسات ثقافة مجتمعية يدبرون بها إشكالية القمامة، لهذا نجدهم يفرزون موادهم في منازلهم، ويصنفونها حسب نوعها، ثم يضعونها في صناديق كبيرة خاصة بعملية الفرز، إلى أن يتم نقلها بعد ذلك من طرف الجهات المسؤولة إلى المصانع والشركات الخاصة بإعادة التدوير. أما الملابس، والأغطية الصالحة للاستعمال، يتم توزيعها على بعض الفئات الاجتماعية التي في حاجة إليها، كما يتم تحويل فضلات الطعام، والبقايا العضوية إلى سماد، يتم استخدامه في الحدائق، والمزارع وغيرها.

ط. التخلص اليومي من النفايات بمجال البحث:

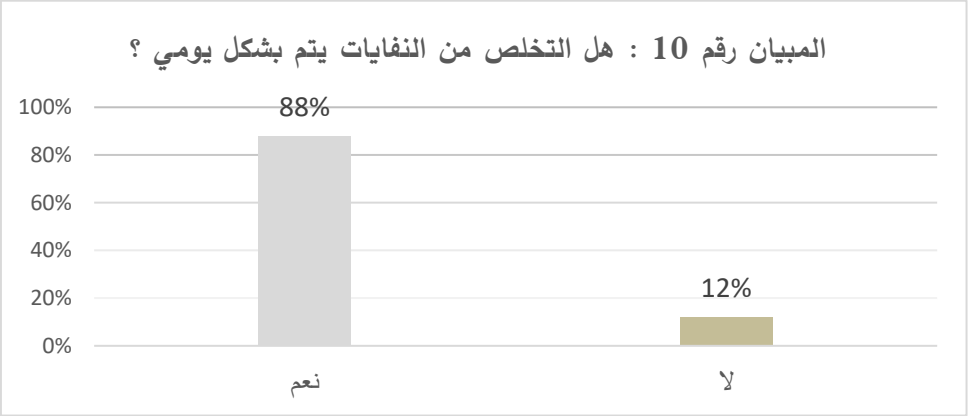

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

يتضح في البيان أعلاه أن نسبة 88% من المبحوثين يتخلصون من نفاياتهم المنزلية بشكل يومي، ويمكن تفسير ذلك بعامل المسافة التي تفصل بين تواجد الحاوية والمسكن، إذ كلما كانت الحاوية قريبة، يكون التخلص من النفايات بشكل يومي، وإذا كانت بعيدة تقل رغبة السكان في التخلص. كما يمكن ارجاع نسبة التخلص العالية

[9] Amélie Fiorello , " Le comportement de tri des déchets ménagers: une approche marketing". Université Nice Sophia Antipolis. Français.2011 ; p.75.

[10] Elisa Monnot et autres " Le tri des déchets ménagers : une caractérisation des logistiques déployées par les consommateurs" Recherche et Applications en Marketing. 2014 ; p.03.

من النفايات إلى ضعف عمليات الفرز من المصدر، لهذا تكون سلة المهملات دائما مملوءة بالنفايات. وهناك نسبة قليلة جدا متمثلة في 12%، هي من تحتفظ بقمامتها أكثر من يوم واحد، وغالبا ما تكون هذه الفئة مكونة من فرد واحد بالأسرة، أو تكون الاسرة تقلل من الاستهلاك وتعتمد فرز نفاياتها.

ي. حالة حاويات، وصناديق، القمامة بمجتمع الدراسة:

تؤثر حالة الحاويات، وصناديق القمامة على رغبة السكان في التخلص من القمامة المنزلية، فالكثير منهم يشتكون وجود حاويات مكسورة، ومتسخة، وبجانبها عصارة تفوح برائحة كريهة مجتمع حولها الذباب والحشرات، يصعب المرور بجانبها، ناهيك عن تناثر الأطعمة، والفضلات، والبقايا المختلفة بجانبها. والصورة اسفله مثال من أمثلة كثيرة تبين ذلك. إن عدم الاهتمام بنظافة صناديق القمامة بمجتمع البحث، وعدم تفريغها يجعل الساكنة تتخلص من نفاياتها في الأرض، أو بجانبها، أو في أي مكان آخر.

الصورة رقم 3: إحدى الحاويات ب "حي سيدي البرنوصي"

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

ك. مكاسب تدبير النفايات المنزلية بمجمع البحث:

أصبح التدبير المستدام للنفايات المنزلية يكتسي أهمية كبيرة، بفعل الزيادة المطردة لحجم، ونوعية النفايات بمدينة الدار البيضاء، التي أصبحت تطرح أكثر من 4000 طن يوميا من النفايات بالمكبات العشوائية، وتصل نسبة التخلص من القمامة ب (حي سيدي البرنوصي)، حسب احدى المسؤولين بقطاع النفايات إلى أكثر من 250 طن في اليوم، وتتضاعف هذه الكمية في فصل الصيف، نظرا لتزايد استهلاك بعض الفواكه الموسمية بكثرة، التي تزيد من كمية القمامة، وصعوبة تصريفها.

ورغم وجود نسبة 96% من المبحوثين أجابوا بأنهم لا يقومون بفرز النفايات المنزلية من مصدرها، إلا أن نسبة 60% من المبحوثين أكدوا أن تدبير النفايات بطريقة صحيحة، وفرزها له أهمية، وفوائد اقتصادية واجتماعية، وبيئية على المجتمع، لكن هذه النسبة لا تمثل سلوك، وممارسات الساكنة، وتعاملها مع النفايات رغم إقرارها بأهمية التدبير المستدام. وأجابت نسبة 40% من المبحوثين بعدم وجود فوائد وأهمية للنفايات، وهذا راجع لضعف المستوى التعليمي، أو لغيابه.

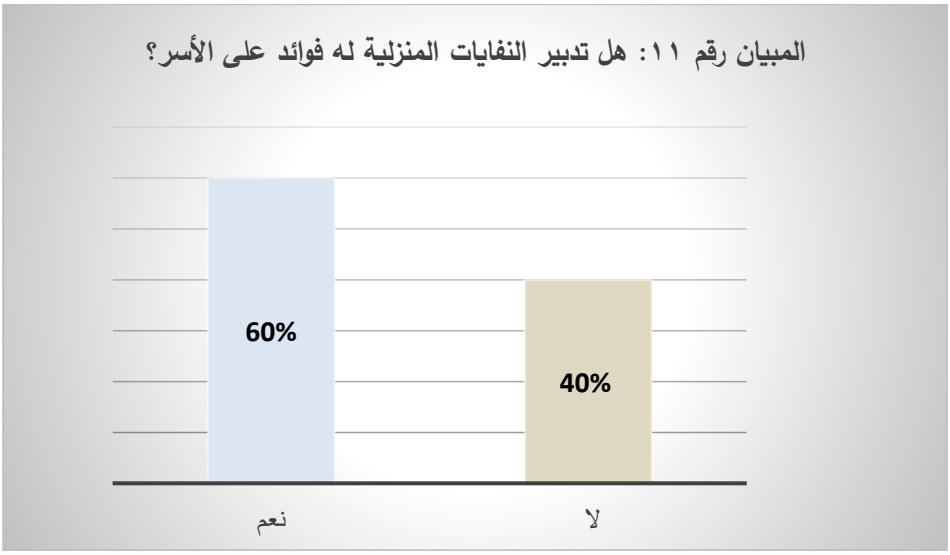

المصدر: معطيات البحث الميداني 2024

الخاتمة:

تبين لنا من خلال هذه الدراسة الميدانية لإشكالية النفايات المنزلية، أن سلوك، وممارسة الاسر المبحوثة تجاه نفاياتها، سبب من أسباب عدة لمشكلة تراكم النفايات بالمدن الكبيرة، وخاصة مدينة الدار البيضاء الممثلة في إحدى أحيائها حي "سيدي البرنوصي"، إن مؤشرات، ونتائج البحث التي توصلنا إليها تتجه عكس أنماط التدبير المستدام، بدءا بوسائل حفظ القمامة التي تعتمد فيها الاسر على أكياس هشة، ثم عدم احترامها لوقت تفريغ القمامة، ثم تكليف أطفالها بهذه العملية، وضعف الفرز من المصدر، وغيرها من النتائج التي تأكد بالفعل أن السلوك الاجتماعي له دور كبير في هذه المشكلة التي تهدد صحة الساكنة، وتهدد المجتمع ككل.

وتمثل الممارسات والسلوكيات التي تم الوقوف عليها في هذه الدراسة، جزءا، وعنصرا من عناصر عدة لإشكالية النفايات، التي تعد مشكلة هيكلية تتدخل فيها أطراف عدة من (وزارات، وجماعات محلية، وشركات خاصة، وقوانين منظمة، وسياسات مؤطرة) وبالتالي فالحلول الأحادية التي تعتمدها في الغالب سياسة تدبير القطاع لم تأتي لحد الآن بنتائج مرضية، في غياب دمج الجوانب الثقافية، والاجتماعية في تدبير النفايات بمجال البحث.

قائمة المراجع:

- Amélie Fiorello ,“ Le comportement de tri des déchets ménagers: une approche marketing”. Université Nice Sophia Antipolis. Français.2011.
- Elisa Monnot et autres “ Le tri des déchets ménagers : une caractérisation des logistiques déployées par les consommateurs” Recherche et Applications en Marketing. 2014.
- Gérard Bertolini “ le déchet c’est les autres”, Toulouse : édition Eres 2006.
- Gérard Bertolini “Le marché des ordures : Economie et gestion des déchets ménagers” L'Harmattan France 1990.

- Jacques Véron " Démographie et Ecologie" la découverte ,2013.
- Mary Douglas "purity and danger, an analysis of concept of pollution and taboo" London and New york. first publiched 1966.
- Mary douglas " de la souillure. Etudes sur la notion de pollution et de Tabou". Paris la Découverte 1992.
- Michel Bourban " Croissance démographique et changement climatique: repenser nos politiques dans le cadre des limites planétaires" La Pensée écologique 3(1) :19-37, 2019.
- Sabine Barles, " L'invention des déchets urbains : France 1790-1970". (Français) Broché 2005.